جامعة زيان عاشور الجلفة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ وعلم الآثار

دور الكتاب الفرنسيين في تدوين تاريخ الجزائر

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في تاريخ المقاومة والحركة الوطنية

1830-1962

إعداد الطلبة:

- تتة عيسى
- مداس عماد
- قارف عمر

إشراف الدكتورة:

- بن فاطمة سامية

السنة الجامعية: 1442هـ-1443هـ /2021 م-2022م

الإهداء:

أهدي هذا العمل المتواضع لكل من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا
ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا

تتة عيسى

الإهداء:

إلى روح أمي الغالية.....

إلى أبي المبجل.....

وأمدّه اللّه بالصحة والعافية.

أهديكم بحثي العلمي هذا

مداس عماد

الإهداء

إلى كل العائلة الكريمة

الى كل من ساندني في الدراسة من قريب ومن بعيد

الى اساتذتي الافاضل في كل الاطوار

اهدي هذا العمل

قارف عمر

مُقَدِّمَةٌ

مقدمـــــــة:

أدرك الفرنسيون أهمية التاريخ في بناء الهوية لأي شعب أو امة لذلك أولوا اهتماما بتاريخ الجزائر من بداية العصور القديمة إلى غاية الفترة الحديثة والمعاصرة، وهم على ثقة تامة بأسباب هذا الاهتمام المتزايد وانعكاساته المستقبلية على المجتمع الجزائري، لذلك أطلقوا العنان لأقلامهم تتفنن في الكتابة عن تاريخ الجزائر بكل فتراته، حتى تكون هذه الكتابات مستقبلا هي المرجعية التي يعتمد عليها أي باحث جزائري.

يندرج موضوع بحثنا هذا تحت عنوان" دور الكتاب الفرنسيين في تدوين تاريخ الجزائر"، وقد ارتأينا انه من الواجب تسليط الضوء على هذا الجانب العلمي من الدراسات التاريخية البعيدة عن دائرة التاريخ العام بمجالاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية، الذي لطالما تعرض له الباحثون، وهو ولا ريب جانب مهم في الدراسات المعاصرة، كما أن الفترة التاريخية الجزائرية خلال العهد العثماني كثيرا ما نُسيت وأُهملت، خاصة وأنها تكتسي أهمية بالغة وتشكل جزء هام من تاريخنا الوطني، ومن هنا جاءت أهمية هذا الموضوع الذي يركز على الكشف عن حقيقة الكتابات الفرنسية التي لم تتوقف عن التدوين الموجه نحو تشويه التاريخ الوطني الجزائري منذ بداية الاحتلال الفرنسي سنة 1830 م إلى يوم الناس هذا.

دوافع اختيار الموضوع:

لا تخلوا الدراسة من دوافع ذاتية متعلقة بالباحث وأخرى موضوعية متعلقة بموضوع البحث نفسه، لذلك فقد تراوحت اسباب اختيار الموضوع بين أسباب ذاتية وأخرى موضوعية:

01/ الأسباب الذاتية

- الرغبة الشخصية في البحث عميقا لمعرفة حقيقة المؤرخين الفرنسيين الذين كتبوا مجلدات ضخمة حول تاريخ الجزائر.
- تلبية للميول الخاص المتعلق بهذا النوع من الدراسات التاريخية التي تميز بين مختلف توجهات المؤرخين، مع التركيز على الفرنسية منها

02/ الأسباب الموضوعية

- إبراز دور المؤرخين الفرنسيين في جمع المادة التاريخية العلمية وبث السم في خبايا أسطر كتاباتهم.
- معرفة الحقائق ونظرة المؤرخ الفرنسي للأحداث التي شهدتها الجزائر سواء قبل الاحتلال أو بعده. وكيفية التلاعب بالألفاظ والمصطلحات وبالتالي الوصول الى الحقيقة التامة والواضحة.

الإشكالية:

تتعدد الأبحاث التاريخية حول تاريخ الجزائر، في الكتابات الفرنسية ومن ورائها المدرسة الفرنسية الاستعمارية، التي تفننت في طرح العديد من المواضيع المتعلقة بتاريخ الجزائر، وهي في كثير من الأحيان متناقضة وتعبر عن انتماء وايديولوجية معينة، بل تطغى عليها تلك النزعة الاستعمارية، وعلى هذا الأساس نجد الكثير من المؤرخين الفرنسيين يهتمون بكتابة تاريخ الجزائر، ومنه نطرح الاشكالية التالية: كيف كانت نظرة الكتابات الفرنسية حول تاريخ الجزائر؟ وماهو الدور الذي لعبه مختلف المؤرخين الفرنسيين في تدوين تاريخ الجزائر؟

تندرج تحت هذه الاشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية وهي:

- لماذا اهتم الفرنسيون بتاريخ الجزائر؟
- ماهي ابرز أسباب بحث الفرنسيين في تاريخ الجزائر؟
- كيف فسر المؤرخون الفرنسيون تاريخ المقاومة الوطنية الجزائرية؟

وللإجابة عن الاشكالية الرئيسية والتساؤلات الفرعية قسمنا هذا البحث الى مقدمة وثلاثة فصول؛

الفصل الأول: كان بعنوان "نظرة الكتابات الفرنسية حول تاريخ الجزائر"، وتناولنا فيه الكتابات الفرنسية حول الفترة العثمانية في الجزائر ومواطن تشويه التاريخ الوطني الجزائري

الفصل الثاني: وهو بعنوان "اهتمام الفرنسيين بتاريخ الجزائر"، وتطرقنا فيه الى المدرسة التاريخية الفرنسية وأسباب بحث الفرنسيين في تاريخ الجزائر.

الفصل الثالث: جاء بعنوان "نماذج للكتابات الفرنسية" وقد حاولنا من خلاله عرض نموذجين عن الكتابات الفرنسية التي تناولت تاريخ الجزائر.

الخاتمة: التي تضمنت عددا من النتائج

المنهج العلمي المتبع:

اعتمدنا على المنهج التاريخ الوصفي، من خلال جمعنا للمادة العلمية المتعلقة بالموضوع، وكذا وصف مختلف الاحداث التاريخية والغوص في تاريخ الكتابات الفرنسية حول الجزائر وتاريخها. وكذا المنهج التحليلي، من خلال تحليلنا لمختلف هذه الكتابات ودوافعها.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

اعتمدنا على مجموعة من الكتب المهمة التي عالجت الموضوع، نذكر منها كتاب أبو القاسم سعد الله، وبعض المراجع الاخرى من بينها نصر الدين سعيدوني ومحمد العربي الزبيري.

صعوبات البحث:

لا تخلو أي دراسة من صعوبات تواجه الباحث في مسيرته، ولعل أهمها نذكر ضيق الوقت المخصص لإنجاز مثل هذه الدراسة، المتعلقة بالبحث في عمق الكتابات التاريخية الفرنسية، اذ كان يتطلب انجازها الاعتماد على العديد من النماذج من أجل التحليل والمقارنة للوصول الى نتائج بحثية تكون أكثر دقة.

الفصل الأول

نظرة الكتابات الفرنسية حول تاريخ الجزائر

- المبحث الأول: الكتابات الفرنسية حول الفترة العثمانية في الجزائر
- المبحث الثاني: مواطن تشويه التاريخ الوطني الجزائري

الفصل الأول: نظرة الكتابات الفرنسية حول تاريخ الجزائر

تمهيد

يعمل الغالبية من المؤرخين الفرنسيين على تشويه تاريخ بلاد المغرب واعتبار الحكم العثماني فيه احتلالا وسيطرة لا يختلف عن باقي ما تعرضت له المنطقة، كما تم اختيار إيالة الجزائر خلال الفترة الممتدة بين 1518-1830 مستعمرة تركية لا تملك أدني مظاهر السيادة والاستقلالية طيلة ثلاثة قرون كاملة وهو ما يتنافى مع الوقائع التاريخية، وبذلك تم نفي وجود الدولة الجزائرية الحديثة، كما أعتبر سكانها مجرد خليط من الشعوب التي لا تعبر بأي حال من الأحوال عن دولة ذات مقومات بشرية وجغرافية، وبالتالي حملت الدولة العثمانية بشكل كلي مسؤولية الانحطاط الحضاري والجمود العقلي والفكري وعدم الاستقرار السياسي الذي ميز فترة الثلاثة قرون التي حكم فيها العثمانيون الجزائر.

المبحث الأول: الكتابات الفرنسية حول الفترة العثمانية في الجزائر

المطلب الأول: نفي وجود الدولة الجزائرية الحديثة

يرى أصحاب هذا التوجه أن الحكم العثماني في الجزائر استبدادي تعسفي ذي طبيعة استعمارية، ويستدل على ذلك من خلال الاعتبار القومي والتصور الأوربي لطبيعة السلطة، ومفهوم الدولة معتمدين على الوثائق الأوربية والمصادر الغربية [1] التي كتبت في هذا الموضوع مع شح كتابات أجدادنا، إذ رغم فصاحتهم وبلاغتهم إلا أنهم قد كانوا أقل اهتماما بتسجيل هذا التاريخ، ذلك أن المكانة التي تتبوأها الشعوب في كتب التاريخ لا ترجع إلى القيمة الذاتية لها بقدر ما تظهر من خلال إبرازها[2].

زعم فقهاء الاستعمار ومؤرخوه – ما عدا بعض المفكرين النزهاء –أن القطر الجزائري كان قطرا شاغرا، وذهبت الوقاحة بهم إلى تبرئة ساحة الاستعمار من جرائمه الشنعاء، إلى إنكار حتى فريسته[3]، وهكذا كان أغلب من كتب عن الدولة الجزائرية في العهد العثماني من الأسرى والقساوسة حتى ولو كانوا كتابا ومؤرخين كبارا مثل هايدر Haedo، ومرمول Marmol وثرفانتس Cervintes ورينيار Ragnard فأغلبهم كانوا ناقمين على تدخل الإخوة بربروس في الميدان، فتحسروا على ضياع الفرصة على أوربا المسيحية [4] للسيطرة على البحر الأبيض المتوسط، واستغل هؤلاء طبيعة السياسة العامة للطبقة الحاكمة في الجزائر والتي اتسمت بالعزلة وعدم اندماج الأتراك بالأوساط المحلية، واعتماد السلطات الحاكمة على افتعال الفتن بين العشائر حتى لا تتحدد ضدها، وهكذا ادعى كثير من الرحالة والمبشرين والدبلوماسيين

---

[1] نصر الدين سعيدوني: منطلقات وآفاق، مقاربة للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط 1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2000، ص184.

[2] مولود قاسم نايت بلقاسم: لمحة عن الجزائر وديمومة شخصيتها البارزة المميزة عبر العصور والأعاصير، مجلة الثقافة، العدد 85، الجزائر: وزارة الثقافة والسياحة، 1989، ص16.

[3] فرحات عباس: حرب الجزائر وثورتها، ليل الاستعمار، تر أبو بكر رحال، المغرب: مطبعة فضالة، المحمدية، ص ص26–27.

[4] ابو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، المجلد 1، ط 4، لبنان:دار الغرب الإسلامي، 2005، ص62.

تعاطفهم مع حالة الجزائريين فهذا بانانتي Pananti الإيطالي يرى أن الجزائريين في العهد العثماني كانوا في قبضة من حديد لجهاز عسكري يقوم على أجانب يفتقرون إلى الهمة والشرف[1].

ومع الغزو الفرنسي للجزائر سنة 1830 نشطت الحركة المعادية للدولة الجزائرية في العهد العثماني، وحاولوا عبثا اعتبار الجزائر بلاد مفتوحة للاستعمار تعاقب عليها، وهي لمن يتحكم فيها، بل سعوا لتكريس مقولتهم المشهورة :بأنهم أخر الفاتحين وأكثرهم تحضرا.

كما تبني مؤرخو الحركة الاستعمارية وعلى رأسهم شارل أندري جوليان فكرة أن الحكم التركي للجزائر لم يكن ذا طابع وطني ولم يسمح بقيام وحدة وطنية، عكس تونس في ظل الأسرة الحسينية حيث يقول: "اندمج الأتراك شيئا فشيئا في تونس وهي بلاد عريقة في حضارتها، وأن الدولة الحسينية أصبحت دولة تونسية ...ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة لمدينة الجزائر"[2].

وربما يدخل هذا في سياق إيديولوجي حيث أن الفرنسيين فرضوا نظام الحماية على تونس، ولا يحرجهم في ذلك وجود الدولة عكس الجزائر التي اعتبروها قطعة من الأرض الفرنسية، ولا عجب أن نجد القادة السياسيين يستعملون كل الأساليب الأخلاقية وغير الأخلاقية لنفي الدولة الجزائرية حتى يتجنبوا الإدانة التاريخية، بل يعرضون أنفسهم كمنقذين للجزائر من شقائها، فقد نص تقرير لابانصونيار La pinsomniere في محاضر اللجنة الإفريقية سنة 1833: على أن الأتراك الذين احتلوا الجزائر عسكريا تسببوا في تدميرها وأن حكومتهم لم تنتج سوى مغتصبين وأعداء[3].

[1] صالح فركوس: الحاج أحمد باي قسنطينة 1826، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص15.

[2] نصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص184.

[3] شارل اندري جوليان: تاريخ افريقيا ا لشمالية، تونس، الجزائر، المغرب من الفتح الاسلامي إلى سنة 1830، ط 2، تعريب محمد مزالي، البشر سلامة، تونس: الدار التونسية للنشر، 1983، ص386.

وهكذا اتخذ الفرنسيون من الحملات التي قادها الحكام العثمانيون ضد قبائل وشيوخ وسلاطين بعض المناطق دليلا على استقلالية هؤلاء على السلطة المركزية وعدم تبعيتهم لها.

والواقع أن العكس صحيح فهذه القبائل كانت تعترف بالسلطة المركزية للدايات والسلطة الإقليمية للبايات فيدفعون لهم المغارم رمزا لذلك الاعتراف، وكلما امتنعوا أو تباطؤوا استضعافا لمنهج السلطة كانت الحملة ضدهم[1]. وهذا لا ينطبق على الدولة الجزائرية فحسب بل يحدث في سائر الدول.

وواصل الساسة الفرنسيون مزاعمهم لدحر الدبلوماسية الجزائرية خاصة إبان الثورة فهذا الجنرال ديغول يصرح في إحدى الندوات الصحفية قائلا:" لم تكن هناك أبدا، في أي ظرف من التاريخ، ولا بأي شكل دولة جزائرية"[2].

وحين انتزعت الجزائر استقلالها وأعادت دولتها إلى وضعها الطبيعي، خرج بعض الفرنسيين لينسبوا إلى أنفسهم ميلاد هذه الدولة الوطنية فقد قال رئيس الجمهورية الفرنسية جيسكار ديستان: إنها ولدت أخيرا. [3]

كما زعم جوبير وزير الشؤون الخارجية الفرنسي في عهد بومبيدو "إن الجزائر ولدت يوم 5 جويلية 1962"[4]، وأمام هذا السيل من المزاعم كان لا بد أن نعرج على أصحاب الرأي، الثاني والذي يؤكد على سيادة الدولة الجزائرية إبان الفترة العثمانية .

دافع عدد معتبر من الدارسين على أن الدولة الجزائرية خلال الفترة العثمانية كانت قد استكملت المقومات الواجب توفرها في كيان الدول وعلى الأقل في تلك الفترة مثلها مثل كل الدول التي عاصرتها ويؤكد الأستاذ أحمد توفيق المدني أن الوجود العثماني هو أساس

[1] نصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص184.

[2] عبد الحميد زوزو: المرجعيات التاريخية للدولة الحديثة مؤسسات ومواثيق، ط 1، الجزائر: دار هومة، 2005، ص29.

[3] مولود قاسم: المرجع السابق، ص15.

[4] نفسه.

تكوين البنات الأولى لدويلات محلية وطنية ببلاد المغرب تجمع شـــتات الأهالي وتوحد صفوفهم في دولة واحدة وعاصمة واحدة وراية واحدة ، كما كان الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم أكثر المدافعين حماسة عن استقلالية الجزائر وسيادتها خلال فترة الوجود العثماني وسايرهم منصور بارنب وغيره، وكان بعض الدارسين خاصة المؤرخين أكثر موضوعية، إذا اعترفوا باستكمال الدولة الجزائرية لمقوماتها طبقا للسياق الزمني لتلك الفترة، ورأوا أنه من الخطأ أن نقارن الدولة الحديثة اليوم بمواصـــفاتها مع الدولة الجزائرية في العهد العثماني ونذكر منهم "أبو القاسم سعد الله"، و"نصر الدين سعيدوني" وغيرهم، فهم بذلك لم ينساقوا إلى ردود الفعل القوية تجاه الكتابات الاستعمارية المستفزة، بل درسوا الوقائع وحاولوا إتباع الموضوعية أسلوبا للوصول إلى الحقائق، كما أن هناك من الدارسين الغربيين المنصفين والذين عارضـوا أفكار _ النافين لاستقلالية الجزائر والمؤيدين لفكرة الإستعمار العثماني للجزائر نذكر منهم واتبليد الذي أكد أن العثمانيين لم يستولوا على الجزائر بقوة السلاح وإنما الجزائريون هم الذين استنجدوا بعروج وخير الدين باعتبارهم حكام مسلمين للوقوف في وجه الإسبان واعتبر دوسونD'hosson أن جزائر القرن السابع عشر القوية قد استدارت ظهرها لتركيا وهو ما يعني استكمال استقلاليتها[1].

المطلب الثاني: نفي التجانس البشري بين سكان الجزائر

سكن الجزائر عدد معتبر من السكان قدرها حمدان بن عثمان خوجة في كتابه المراة بعشرة ملايين حيث قال: "إن مسألة الجزائر مسألة خطيرة لأنها تخص أمة بأجمعها، تتكون من عشر ملايين نسمة وهي الآن من سوء الحظ في نقصان، ويتزايد من يوم الأخر" [2]، ورغم اختلاف التقديرات واعتبار أغلب الباحثين أن عددهم كان يقارب ثلاثة ملايين نسمة، فهو بلا شك عدد معتبر إذا ما قارناه بتلك الفترة، كما سكن الجزائر البربر الأمازيغ والعرب

[1] نصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص183.

[2] حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، تعريف وتحقيق، محمد العربي الزبري، الطبعة الثانية، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص46.

والأندلســـيون والأتراك والكراغلة وبعض اليهود الوافدين من الأندلس، وقد عاب بعض الدارسين هذا التنوع واعتبروا ذلك منافيا لوحدة الأصل والدم وهكذا كتب "جان دريش".

"جان دريش" في دراسته عن الفعل الوطني للجزائر يقول: "لم تكن سوى مجموعة من القبائل، إن سكان الجزائر لم يكن لهم وعي بالروابط التي تشدهم ببعضهم، كما لم يكن لهم إحساس يشدهم ببعضهم البعض" [1] غير أن وحدة الأصل والدم في الأمم إنما هي من الأوهام فلا الانكليز ولا الروس ولا الألمان كانوا متجانسين من حيث الأصل، فحتى الأمة الفرنسية تؤكد الدراسات العلمية أن عدد الأقوام التي كونت فرنسيي اليوم يتجاوز الستين[2].

إن التنوع والطابع القبلي الذي ساد سكان الجزائر لم يمنعهم من الشعور بوحدتهم، بفضل رابطة الدين الإسلامي والمصير المشترك، فقد اجتمعوا لرد العدوان الإسباني وهو الذي دفعهم للاستنجاد بالأخوة بربروس، كما أنهم قاوموا الغزو الفرنسي منذ نزوله بأرض الجزائر سنة 1830 مقاومة ربما ما وجدوها في باقي الأقطار .والمتعارف أن الشعور الوطني عند الشعوب يظهر مع بروز الخطر الأجنبي، لذلك لم يظهر ضد الأتراك الآن معظم الجزائريين اعتبروهم أشقاء في الدين وحلفاء ضد الصليبية

كما أن العنصرية لم تكن متفشية في الشعب الجزائري فهو لا ينظر إلى العربية بزاوية العنصرية، حتى أن الفرنسيين أنفسهم كانوا إلى وقت متأخر يطلقون خطأ على الذين يتكلمون الأمازيغية بالعرب وباقي السكان باسم المسلمين[3].

[1] نصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص17-18.

[2] Xavier Yacono: Histoire de l'algérie: de la fin de la régence, turque à l'insurrection de 1954 (Paris: Editions de l'attan thrope , 1993) ,pp. 218- 260.

[3] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص245-246.

المبحث الثاني: مواطن تشويه التاريخ الوطني الجزائري

المطلب الاول: تشويه صورة الشخصيات الوطنية الجزائرية

ينسب معظم المؤرخين أسرة المقراني الى السيدة فاطمة بنت الرسول عليه الصلاة والسلام ويذكرون ان اجدادها من قبائل عياض، هاجروا الى إقليم المغرب في القرن 11 م خلال قدوم الملايين الى المنطقة ليستقروا بجبال قلعة بني حماد في المعاضيد شمال مدينة المسيلة وجنوب شرق مدينة برج بوعريريج، وارتبط تاريخهم بالأمراء الحماديين ثم انتقلت الاسرة عبر بعض مناطق هذه الجهة من الجزائر حتى اختارت قلعة بني عباس شمال غرب سهل مجانة داخل المنطقة الغربية على الضفة اليمنى لواد الساحل ,وبعد مخاض وانقسام كبيرين داخل الاسرة عين الفرنسيون محمد المقراني باشا على مجانة اثر وفاة ابيه في حوالي سنة 1853م[1]

أما الشيخ الحداد فينتمي إلى الطريقة الرحمانية التي أسسها محمد بن عبد الرحمن الذي عاش فيما بين سنتي1715 و1725م، وتعتبر قرية بني منصور موطنا أصليا لعائلة الحداد، ومن هذه القرية انتقل أفراد الأسرة إلى مختلف مناطق وقرى القبائل. وقد استقر أحد أفراد الأسرة بقرية صدوق على الضفة اليمنى لواد الصومام، وهناك ولد محمد أمزيان الحداد الذي أشرف فيما بعد على الزاوية الرحمانية التي قصدها الكثير من طالب العلم والذين عرفوا بالإخوان الرحمانيين.[2]

تحتل مقاومة المقراني والشيخ الحداد مكانة بارزة ضمن سلسلة المقاومات الشعبية والحركات الثورية الجزائرية وكان لعائلتي المقراني والحداد الدور الأساس في قيادة الثورة وحركات المقاومة الجزائرية، وتحمل تطوراتها وتبعاتها. ولقد كان للزاوية الرحمانية الدور الحاسم في كافة الاعمال القتالية لهذه الثورة الرائدة، فكانت بحق ثورة الإخوان الرحمانيين. كما كانت

[1] يحي بوعزيز: ثورة 1871 دور عائلتي المقراني والحداد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1978, ص43_58

[2] نفسه، ص59.

ثورة الجزائر كلها، تحت راية الجهاد من أجل الوطن ومن هنا، وإذا كان البد للثورة من إطار شامل يضمها، فيكفي وضعها في اطارها الزمني. وهي أيضا امتداد أعمال المقاومة التي بدأها الشعب الجزائري منذ الأيام الأولى للغزو الاستعماري الفرنسي للجزائر، كمقاومة الأمير عبد القادر وأحمد باي، ومرورا بثورات لالة فاطمة نسومر وغيرها [1].

إن ثورة المقراني والشيخ الحداد لم تكن إلا بداية لثورات لاحقة، اتصل بعضها ببعض فبقيت أرض الجزائر، أرض الأحرار وجزائر الإسلام والمسلمين، وهي تلتهب لتحرق أقدام المستعمرين، حتى آن أوان ثورة الفاتح نوفمبر من سنة1954 والتي سارت بالجزائر إلى النصر العظيم واسترجاع الاستقلال. هذا وقد تناول العديد من المؤرخين هذه المقاومة من زوايا مختلفة، نحاول فيما يلي تسليط الضوء على ما كتبه لويس رين"L.Rinn" في المجلة الإفريقية من خلال مقالين في سنتي1887 و1891.[2]

اشتغل النقيب لويس رين "L.Rinn" رئيسا للمكتب العربي ببسكرة في الفترة من07 جوان إلى20 أكتوبر 1870 ، ثم في باتنة من20 أكتوبر 1870 إلى سبتمبر 1871 ، فساعدته هذه الوظيفة على أن يكون ذا صلة بأحداث الثورة. ثم عين مستشارا للحكومة العامة ونائبا لرئيس الجمعية التاريخية بالجزائر العاصمة، ورئيسا للمصلحة المركزية لشؤون الأهالي مما سمح له بالاطلاع أكثر على هذه الثور[3] ولهذا فان كتابه: "تاريخ ثورة1871 بالجزائر، الذي صدر في عام1891 م، والمقالين المذكورين في هذا البحث من أهم ما كتب عن المقاومة من حيث الشمول وتتبع الأحداث. وقد اعتبر أن ثورة الحداد وإخوانه في08 أفريل هي أهم وأخطر حدث في هذه الثورة، لأن إعلان الحداد للجهاد هو الذي دفع قسما كبيرا من سكان جرجرة والبابور

[1] يحي بوعزيز، ثورة 1871 دور عائلتي المقراني والحداد، المرجع السابق، ص67-80.

[2] نفسه، ص82.

[3] نفسه، ص397.

وحوض الصومام إليها. وأن المقراني ما كان ليتحول "عصيانه" إلى ثورة عارمة لولا انقياد الإخوان الرحمانيين لنداء شيخهم، وحملهم للسلاح بصورة جماعية .[1]

ويصف لويس رين"L.Rinn" في مقاله الأول الباشاغا الحاج أحمد المقراني والد محمد بأنه سيد مجانة وبني عباس، تدعمه الزاوية الرحمانية ببالد القبائل الممثلة في عزيز بن الشيخ الحداد. لم يكن هذا الأخير زعيما دينيا فحسب، ولكنه كان قائدا حقيقيا تمكن من فرض الانتفاضة بالقوة على القبائل، الذين تعرضت فئة المعارضين منهم إلى السطو والتقتيل بحكم أنهم لم يكونوا مسلمين متعصبين حسب رأي رين، فإنهم قاوموا هذه الحركة التي لم تكن حركة دينية فقط، ولكنها كانت سياسية أيضا، مفضلين أي القبائل الخضوع لفرنسا بدل الإخوان الرحمانيين. ويذكر كذلك أنهم فرحوا بانتصار فرنسا وبسطها لسلطتها على البلاد، وانطلاقا من هذا نشر نص أغنيتين قبائليتين لمؤلف مجهول ترجمتا إلى الفرنسية هما محور المقال الأول الصادر في سنة1887 ، وقد أرسلتا إلى الحاكم العام للجزائر في سنة1872 .[2]

ويحتوي نص الأغنيتين على موضوع أساسي هو عبارة عن قذف وسب لشخصين رئيسيين في انتفاضة1871 هما بومزراق والشيخ الحداد. ومن خلال ترجمة النص نلاحظ تطاول على هذين البطلين، رغم اعتراف لويس رين"L.Rinn" بقيمة وشرف بومزراق الذي انهزم في عدة مواقع وفضل الانسحاب جنوبا، إلى أن قبض عليه في20 يناير1872 بالقرب من ورقلة . ويعتبر رين بومزراق عدوا لفرنسا، إلا أنه يعترف بأنه كان محترما من الفرنسيين. ويشير أن الحداد الذي بلغ من العمر80 سنة، كلف ابنة سي عزيز بالدعوة إلى الجهاد. وتمدح الأغنيتين القائد الفرنسي سوسي"Saussier" الذي قضى على ثورة الحداد، هذا القائد الذي يشبه في نص الأغنية الثانية الرحمانيين بالدروز الذين عرف عنهم تزمتهم وتشبثهم بآرائهم حسب إدعاء لويس رين"L.Rinn"، ويعترف رين بأن المقاومة كانت عنيفة، فقد جرت عدة معارك، آخرها معركة تالة إيفاسن في23 جوان1871 ، والتي على إثرها استسلم الحداد إلى

[1] عبد القادري صحراوي: مقاومة المقراني والحداد، مجلة الحوار المتوسطي، العدد11-12، الجزائر، 2016، ص 272.
[2] نفسه، ص276.

الجنرال الفرنسي لالملان "Lallemant" في30 جوان من نفس السنة بعين بسام. ويشير المؤرخ إلى القبض على 600 أسير واستعادة500 بندقية وتقديم حوالي950 ألف فرنك إلى خزينة الدولة.[1]

ويتعرض لويس رين"L.Rinn" في المقال الثاني لهذه الثورة انطلاقا من وثيقتين أهليتين على حد تعبيره، سبق نشرهما في كتابه حول تاريخ انتفاضة1871 م . وتتمحور الوثيقة الأولى التي أرسلها يحيى بن سعيد الى أعيان بلاد الميزاب إلى إخوانه المفاوضين في الجزائر حول الثورة ويصف رين هذه الرسالة بالمهمة نظرا لعرض الأحداث بطريقة جيدة، كون يحيى بن سعيد إباضيا معاديا للسنة. فكتبت من طرف إنسان ذكي صادق، يصف فيها أحداثا عايشها، ولذلك فهي لا تحتمل في نظره أي تعليق. ويتعلق الأمر بقدوم الشريف بوشوشة إلى بلاد الميزاب في سبتمبر 1871، الذي يعتبره صاحب الرسالة عنصرا مشوشا، ومن ثم اعتبر رين هذه الوثيقة ذات قيمة تاريخية وسياسة كبيرة اما الوثيقة الثانية فتعود إلى سنة1872 ، يدلي من خلالها فلاح من قبائل بني عباس عن حسن نية برأيه في انتفاضة1871 لأحد المخبرين الفرنسيين من دون أن يدرك نواياه، وهو نفس التصريح الذي ذكر في السنة الموالية من طرف الشهود المتأثرين بالطريقة الرحمانية أمام القضاء الفرنسي. وتحتوي هذه الوثيقة على وصف لدور المقراني والحداد في ثورة1871. ويذكر رين أن شهادة هذا الفلاح مستوحاة من أحد أعضاء الزاوية الرحمانية، مما يستوجب حسب رأيه التدقيق فيها، إلا أنه يذكر أن الباشاغا المقراني هو بحق سيدا وقائدا معتزا بنفسه،وهذه في رأينا عزة الإسلام. وقد راسل العديد من الشخصيات كالحداد ويحيى بن عيسى باشاغا التيطري وغيرهم لحثهم على الانضمام إلى الثورة ويعتبر رين حكم هذا الفلاح على أحداث الانتفاضة رغم عدم فهمه لها وثيقة إنسانية مهمة، ويؤكد أن استعمال المعلومات السياسية والتاريخية المقدمة من طرف الأهالي، ينم عن تبصر كبير[2]

[1] عبد القادر صحراوي، المرجع السابق، ص273.

[2] نفسه، ص275.

نلاحظ من خلال عرضنا محتوى مقالي رين في المجلة الإفريقية الكثير من المغالطات التاريخية، سعيا إلى الحط من قيمة هذه الثورة العظيمة بقيادة محمد المقراني، وتتمثل مشكلة رين في كونه أرّخ لهذه الثورة من خلال التأريخ لجهود الجيش الفرنس ي ضدها، ولمواقف السياسة الفرنسية اتجاهها، وهذا ما جعله يكاد يطمس موضوع الثورة الحقيقي، وجهود زعمائها، ما عدا الذين فرضوا أنفسهم على الحوادث فرضا. ومع ذلك بذل جهده ليجعل الحديث عنهم هامشيا وبالتبعية فقط للحديث والتأريخ لنشاط الجيش الفرنسي الذي تصدى لمقاومة حركتهم.[1]

إن طريقة عرض لويس رين"L.Rinn" للثورة من خلال المقالين، لا تخرج عن منهج الفرنسيين في كتابه تاريخ الجزائر المبنية على التشويه والإساءة إلى الجزائر والجزائريين، باستغلال وثيقة كتلك التي تضمنها المقال الأول والتي لا تعزو أن تكون قد كتبت من طرف أحد الحاقدين على هذه الثورة وأبطالها، أو تلك الشهادة التي أدلى بها فلاح من بني عباس لأحد المخبرين الفرنسيين. هذا ويرجع للمؤرخين الفرنسيون شدة مقاومة الجزائريين للاحتلال الفرنسي لا إلى الروح الوطنية،وإنما لضيق الأفق والتعصب الديني، ونفس الموقف وقفه هؤلاء من زعماء المقاومة الوطنية، فلا الحاج أحمد ولا محمد المقراني ولا الحداد، إلى جانب عظماء آخرين، قد وجد من هؤلاء دارسا نزيها، دون الارتباط المسبق بخدمة المصلحة الاستعمارية، ذلك أن الهدف البعيد لهؤلاء المؤرخين ومنهم لويس رين"L.Rinn" هو تجريد الجزائريين من أبطالهم، كما حاولوا تجريدهم من اسلامهم الحق، واتهامهم بالإيمان بإسلام جزائري هو أقرب إلى الخرافة منه إلى العقيدة الراسخة الواعية . [2]

وكم يعاني الباحث عندما يحاول أن يتعرف من هؤلاء المؤرخين على جهود المقراني، أو الحداد أو بومزراق، هذا فضلا عن الأحكام التي أصدروها على ثورة1871 وقادتها.

ولعل النقطة السلبية الرئيسية عند المؤرخين الفرنسيين هي إهمالهم للشعب الجزائري في تناولهم لتاريخ الجزائر، فليس هناك في نظرهم "شعب" أو "أمة" أو "كيان" و"مجتمع متماسك"،

[1] يحي بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص328.
[2] نفسه، ص397.

إنما هناك قبائل متنافرة متنابزة تخوض حروبا مستمرة، وال تخضعها إلا القوى الغازية كالرومان والأتراك والفرنسيين. هذه هي "فلسفة" الفرنسيين في كتابتهم تاريخ الجزائر وهم لم يطبقوا هذه النظرية على عهدهم الذي بدأ في سنة1830 ، ولكن على جميع عهود تاريخ الجزائر تبريرا لوجودهم.[1]

وعلى الرغم من الآثار السياسية والإدارية والاقتصادية لثورة 1871 والتي تصب كلها في محاولة الفرنسيين إبادة الشعب الجزائري، وإرساء قواعد الاحتلال والاستعمار، فإنها أي الثورة غنية بمعطياتها، وأحداثها ووقائعها وشموليتها لمختلف مناطق التراب الجزائري، كما رسمت مع مقاومات وثورات أخرى طريق المستقبل أمام الجزائريين للتخلص من الاستعمار الفرنسي وبناء صرح دولة حديثة مواكبة للتطورات الحضارية العالمية.[2]

المطلب الثاني: نفي البعد الوطني عن المقاومات الوطنية

فيما يخص المقاومة الوطنية فقد حرص الكتاب الفرنسيون المعاصرون والمحدثون ومعظمهم من الضباط والجنود على إبعاد العنصر الوطني عن هذه المقاومة الجزائرية ورجالها وقادتها على ربطها بالأسباب الاقتصادية والاجتماعية حتى لا ينتزعها من محتواها وأهدافها الوطنية وحاولوا بالتالي ان يصلوا الى النتائج التالية: ادعوا الجزائريين عنصريون متعصبون دينيا وعرقيا ولا يستطيعون أن يتعايشوا مع الأجانب الأوروبيين المسيحيين ولذلك كانوا يثرون باستمرار ضدهم هو مصدر ثوارتهم المتعددة ضد الفرنسيين والدليل في ادعائهم هذا وكثرة رجال الدين الذين دائما في مقدمة الثورات ويقودونها ويدعمونها ويؤيدون زعماءها السياسيين والعسكريين وهي دعوة باطلة بالأدلة التاريخية القاطعة لان الجاليات الأوربية والمسيحية كنت تعيش بالجزائر قبل 1830 بقرون عديدة في امن وسلام منها الجالية الفرنسية التي تمركزت بالقالة وعنابة الجزائر العاصمة منذ تأسيس مراكز صيد المرجان الفرنسية بساحل القالة وعنابة

[1] أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, 1978، ص ص29-34.
[2] نفسه، ص44.

في منتصف القرن السادس عشر، تمارس نشاطها الديني والاقتصادي بكل حرية طالما احترمت قوانين ضد الغزاة الأجانب الاستعماريين. [1]

ادعوا الجزائريين لا يثورون إلا عند ما يشتد عليهم الفقر والجوع والعرى والخصاصة، أما عندما تتحسن أوضاعهم الاقتصادية وينمو ثراؤهم فأنهم يخلدون إلى الهدوء والسكينة ويرضون بحكم الأجانب لهم واحتلالهم لبلادهم ومنهم الفرنسيون وهذا في نظرهم طبعا أن الجزائريين لا يثورون الأمن من اجل بطونهم الجائعة وأجسادهم الجارية اما الفكرة الوطنية والدافع الوطني فبعيد وغير ذي موضوع وهو ادعاء استعماري خطير في نفس الوقت تبناه معظم من كتب عن ثورات الجزائر في القرن الماضي في الحالي امثال، لويس دين، شاتولي لوسياني هيريبون بول ازان فوانز فيرو قروملي لاباسي ماقون قارو شارل بتار وغيرهم من الذين كتبوا عن الثورات في زعمهم ليست وطنية جزائرية لأنها اندلعت بسبب ادعاءات من الخارج من طرف قوى أجنبية.[2]

[1] بوعزيز يحي: ثورات الجزائر في القرنين 19-20، ط2، ج1، الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1995، ص27.

[2] نفسه، ص28.

الفصل الثاني

اهتمام الفرنسيين بتاريخ الجزائر

- المبحث الأول: المدرسة التاريخية الفرنسية
- المبحث الثاني: أسباب بحث الفرنسيين بتاريخ الجزائر

الفصل الثاني: اهتمام الفرنسيين بتاريخ الجزائر

تمهيد

حاول المؤرخون أن وطأت أقدامهم الجزائر تشويه التاريخ والتزييف فسجلوا ادعاءات وأباطيل في كل فترات، فرغم تلك المزاعم والادعاءات المدرسة الفرنسية ومحاولة غرسها في أبناء في الجزائر كانت لها أثار كبيرة في تاريخنا الجزائري إلى حد الان من اثارة بعض الشكوك حول بعض القضايا فكانت كتابتهم عبارة عن ابر مسمومة تحقنها في ابناء الجزائر.

لذا سنتناول في هذا الفصل مبحثين هما:

- المبحث الأول: المدرسة التاريخية الفرنسية
- المبحث الثاني: أسباب بحث الفرنسيين بتاريخ الجزائر

المبحث الأول: المدرسة التاريخية الفرنسية

المطلب الأول: تعريف المدرسة الفرنسية

عرفت اوروبا والغرب بشكل عام عدة مدارس من ضمنها تلك المتعلقة بالتاريخ وفق المقاييس الحديثة، وقامت هذه المدارس الغربية على اساس تجاوز نمط الكتابة التاريخية الكلاسيكية باعتماد انماط جديدة سواء في اختيار المواضيع او المناهج او الادوات، ولعل من ابرز هذه المدارس المدرسة الفرنسية الاستعمارية والتي عرفت باسم المدرسة الوضعية، وظهرت مدرسة الحوليات الفرنسية كرد فعل عن المدرسة الوضعية ونقائصها العديدة بالتفاف مجموعة من المؤرخين في اواخر العشرينات 1929 حول حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي امثال مارك بلوك ولوسيان فيفر ثم فرنون برودال وغيرهم، وقد ساهمت الازمة الاقتصادية العالمية في توجيه اهتمام المؤرخين الى دراسة القضايا الاجتماعية والاقتصادية، ولقد عابت مدرسة الحوليات على المدرسة الوضعية النقاط التالية:

1- اهمالها للوثائق غير المكتوبة وخاصة الوثائق الاثرية.
2- تركيزها على الاحداث السياسية والعسكرية والدبلوماسية مع اغفال للقضايا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.
3- غياب التأويل والروح التأليفية في اعمالها وبحوثها وخاصة عن مبدأ الموضوعية والحياد العلمي وانحيازها الى ايديولوجية سياسية معينة.[1]

أوّلت مدرسة الحوليات اهتماما بالغا بالتاريخ الاقتصادي والتنظيمات الاجتماعية والقضايا الثقافية بالإضافة إلى الوقائعي، كما سعت المدرسة إلى تقريب التاريخ من سائر العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى واهتمت في السبعينات بمسائل الديمغرافيا وبتاريخ

[1] فريد بن سليمان: مدخل الى دراسة التاريخ، تونس: مركز النشر الجامعي، 2000، ص108.

العقليات فهي بذلك ترفض هيمنة العامل السياسي على العوامل الأخرى وإن كانت تقر أن لهذا العامل دورا كبيرا في تفسير الأحداث التاريخية، ولكنه ليس بالعامل الوحيد، انبثقت عن مدرسة الحوليات في السبعينات مدرسة << التاريخ الجديد >> التي أعطت اهتماما بكل المجالات بدون استثناء ورفضت كل نسق تفكير منظم وتماشيا مع اتجاه المدرسة الجديدة فتحت مجلة الحوليات صفحاتها لغير المؤرخين في إطار تداخل المواد وتعدد الاختصاصات كعلماء الاجتماع والاقتصاديين والديمغرافيين وغيرهم مع احتفاظ التاريخ بالنصيب الأوفر، كما تفتحت المجلة عن كل الحقب التاريخية وكل أرجاء العالم تعبيرا عن طموحاتها الكونية وعن نواياها لإعادة قراءة التاريخ على ضوء المصادر المعروفة أو المكتشفة.[1]

المطلب الثاني: نشأة وتطور المدرسة التاريخية الفرنسية

مرت المدرسة التاريخية الفرنسية بعدة مراحل كل مرحلة لها خصوصياتها وميزاتها وأجمع الدارسون على ثلاث مراحل أو عهود أساسية المرحلة الأولى، هي مرحلة ما قبل 1830، وخصوصية هذه المرحلة، أن كتابهم ينتمون الى عدة فئات ومشارب من المجتمع الفرنسي، وكان جلها عبارة عن مذكرات لرهبان وقساوسة مسيحيين جاؤوا الجزائر في سياق فدية الأسرى، أو تقارير وعروض لقناصل ومبعوثين حكوميين وحتى الجواسيس في إطار التحضير لأعمال عدائية ضد الإيالة وكذا كتب الرحالة الذين استقر بهم الحال بالجزائر في الجزائر لأهداف علمية واستكشافية فدونوا من خلالها مشاهداتهم وملاحظاتهم اليومي.[2]

تعود أهمية هذه الكتابات للمعطيات والمعلومات القيمة التي تخص الجزائر في العهد العثماني. فهي تغطي جوانب عدة من تاريخ الإيالة السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري وتعود أهمية هذه الكتابات أيضا، الى أن أصحابها كانوا معاصرين للأحداث

[1] فريد بن سليمان، المرجع السابق، ص111.

[2] مولاي بلحميسي: موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1988، ص101.

التاريخية التي التاريخية الواردة في هذه المرحلة كلها جديد، اما المرحلة الثانية والتي عرفها المؤرخ الفرنسي بالمدرسة التاريخية الجزائرية القديمة، فقد تميزت بأن كتابها كانوا في غالبيتهم من العسكريين والمترجمين، كان دافعهم للكتابة إما هواية أو تنفيذا لأوامر فوقية ممثلة في قيادة جيش الاحتلال الفرنسي. وقد وجد هؤلاء العسكريون كل الدعم المادي والبشري من طرف وزارة الحربية الفرنسية التي سارعت الى تشجيع اللجان العلمية والجمعيات الأثرية والعديد من الهيئات والتي فتحت أبوابها أمام هؤلاء لنشر أبحاثهم ودراساتهم التي غطت مختلف جوانب التاريخ الجزائري واستطاع هؤلاء العسكريون أن ينشروا عددا معتبر ا من الأعمال اعتمادا على الوثائق المكتوبة أو الروايات الشفوية التي تمكنوا من الاستلاء عليها أثناء الحملات العسكرية وكانت هذه الوثائق في مجملها عبارة عن وثائق العائلات ومذكرات رجال العلم وشيوخ الزوايا أو عقود العائلات ,الأحوال الشخصية والمعاملات الخاصة.[1]

ولتقييم إنتاج هذه المرحلة، فقد أشار الأستاذ أبو القاسم سعد الله، الى أن أعمال هؤلاء العسكريين رغم اعتمادها على الجمع، لاسيما من المصادر الشفوية والمشاهدات الشخصية، فإنها قد تركت للمؤرخين اللاحقين أرضية يبدؤون منها، ومنافذ يطلون منها على أحوال الجزائريين الذين لم يكونوا يعرفون عنهم إلا القليل وكان أشهر من مثل هذه المرحلة، نذكر على سبيل المثال؛ "بليسيه دو رينو" و"روزي وكاريت"، "وبيربريجر"، و"هانوتو". تميزت هذا العهد بغزارة إنتاجه التاريخي وتنوعه وذلك بسبب إصرار السلطات الاستعمارية على إعطاء الجانب التاريخي أهمية لاستكمال عملية احتلال الجزائر، وهذا لا يتأتى الا بجمع التراث الجزائري ودراسته. ومن الخصائص الأخرى التي ميزت الكتابة التاريخية، أن البحث تركز بصفة ملفتة على الظاهرة الدينية في الجزائر المستعمرة، أو ما كان يسمى بالإسلام الجزائري.

[1] سعيدوني ناصر الدين: طبيعة الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص22.

وخلفيات هذا التوجه، هو قناعة الإدارة الاستعمارية بأهمية ومكانة الدين الإسلامي في الوجدان الجزائري، فظهرت العديد من الدراسات والأبحاث عن الدين الإسلامي ومؤسساته ورجاله.[1]

مع ثمانينات القرن التاسع عشر، دخلت المدرسة التاريخية الفرنسية مرحلة جديدة من ناحية المضمون ونوعية المؤرخين الذين تصدوا للكتابة التاريخية وظهر جيل جديد من المؤرخين بدأ في انتهاج الطرق العلمية والمنهجية خاصة بعد أن وفرت لهم الإدارة الاستعمارية الأدوات العلمية للقيام بمهامهم. وكان لظهور المدارس العليا ثم الجامعات، أن اعطى دفعا قويا في مجال الدراسات التاريخية والأثرية وتنوعها، إذ أصبحت أكثر نضجا. وهنا علينا أن نشير الى المساهمة الكبيرة التي قدمها المعربون في النقلة النوعية هاته مما فتح مضمار البحث التاريخي على مصراعيه. وما يمكن ان نشير إليه في هذا السياق أن هذا العهد سخر للكتابة عن الاستعمار والدفاع عنه وإظهار محاسنه، ومن ثمة إضفاء الشرعية عليه خاصة وأن هذا العهد تزامن مع الاحتفال بمرور الذكرى المئوية على احتلال الجزائر والتي جندت لها الإدارة الاستعمارية إمكانيات ضخمة مكنت من صدور كم هائل من الدراسات والأبحاث التي تمجد الاستعمار الذي مكن الجزائريين من التخلص من نير الاستبداد التركي الى عصر الحرية والديمقراطية التي جاء بها الفرنسيون.[2]

[1] سعيدوني ناصر الدين: طبيعة الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص24.

[2] أبو القاسم سعد الله: منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر، ط1، ج1، الجزائر: عالم المعرفة، 2011، ص22.

المبحث الثاني: أسباب بحث الفرنسيين بتاريخ الجزائر

المطلب الأول: أسباب اهتمام الفرنسيين بتاريخ الجزائر

رغم جهل الفرنسين في الأول الامر بواقع الجزائر وتاريخها ورغم انشغالهم بعمليات الحملة واحتلال وافتقارهم في البداية الى الذوق الثقافي فإنهم اتجهوا في نفس الوقت البحث في ثلاث مجالات وهي نشر الآثار القديمة عن الجزائر انشاء اللجان العلمية ومنح الرخص للأفراد للقيام بعمليات البحث وللجمع والتعريف بالآثار التاريخية في البلاد وتكوين الجمعيات المختصة والصحف والدوريات التي تحفظ مكتشفات التاريخية .[1]

وعادوا الى كتب المؤرخين والرحالة العرب لدراسة حملة شارل الخامس على الجزائر وشرعوا في نشرها جزئيا او كليا كابن خلدون وبكري والعياشي وحسن الوازن (ليون افريقي) وغيرهم ومن جهة اخرى نشروا مراسلات دايات الجزائر مع حكام فرنسا ومذكرات وتقارير القناصل والجواسيس الفرنسيين امثال "دوبوا تانبيل "و"بوتان وكريسي"، واهتموا بأرشيف الغرفة التجارية بمارسليا وتقارير الشركات الفرنسية التي توالت على مكان يسمى بحصن فرنسا وبالإضافة الى ذلك أبدوا بالوثائق العثمانية ساعة الفوضى التي سادت احتلالهم الجزائر وبخصوص المجال الثاني الخاص انشاء اللجان العلمية كانت تنهي أعمالنا بتقارير ومحاضرة غنية عن الجزائر في مختلف المجالات ونسينا الاقتصادية والاجتماعية وفي سنة 1837 انشأت الوزارة الحربية لجنة باسم اكتشاف الجزائر العلمي التي قامت بنشر دراسات هامة في عدة أجزاء عن الآثار والعلوم الطبيعية والفنون الجميلة والتاريخ وعلم السلالات وكذلك قام العديد من الأفراد بالبحث ونشر أعمالهم في التاريخ المحلي عن اللهجات والطرق والنظم وطبائع السكان والزوايا والحياة القبلية والمدن ...الخ[2]

[1] عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية الى غاية 1962، ط1، لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1997، ص55.
[2] أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء، ج1، المرجع السابق، ص15.

وقد ظهرت من ذلك مجموعة من الدراسات والانطباعات التي كتبها عسكريون فرنسيون اما المجال الثالث المتعلق بالجمعيات والصحف فقد ظهر هو الآخر منذ بداية الاحتلال اي يوم 26 جوان 1830 ففي سيدي فرح ولدت الصحافة الفرنسية التي لم تكن صحافة بالمعنى الدقيق للكلمة لان اول جريدة الحقيقية اسسها الفرنسيون في الجزائر كانت المرشد الجزائري اهتمت بالإضافة الى القرارات الرسمية والتاريخ.[1]

انطلق الفرنسيون في كتابتهم تاريخ الجزائر من عدة معطيات أهمها، كونهم تغلبوا على الجزائريين بقوة، ولأنهم يرون في انفسهم شعبا متحضرا حكموا شعب متخلفا، وكونهم مسيحيين قبضوا على زمام شعب مسلم ,وهذه المعطيات هي التي قررت نوعا من الحتمية التاريخية عندهم، وهي التي حددت منهجهم الشي تطور مع الزمن كلما ازدادوا صلة بالجزائريين، هناك دافع السيطرة والاحتلال، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بجمع الآثار المكتوبة وغير المكتوبة وتمحيصها وتقييمها واستخلاص النتائج منها, ومن أجل ذلك استغل الفرنسيون أيضا ما كتبه الكتاب الجزائريين ونذكر على سبيل المثال ما كتبه العنتري , وابن المبارك عن تاريخ قسنطينة بوحي بوسني، وما ترجمه ونشره ابن أبى شنب والحفناوي وغيرهما بتحريض من الحاكم العام جونار وجملة من الباحثين الفرنسيين، دافع الدين، فقد احتلت الجزائر بعد صراع شديد بينها وبين أوربا المسيحية دام ثلاثة قرون والأوروبيون يطلقون على ذلك عهد القرصنة، وهو في الواقع كان الفصل الثاني من عهد الحروب الصليبية ولذلك اهتموا بتاريخ الجزائر أولا لمعرفة أسرار العهد المشار اليه، وثانيا لتحطيم المعنويات التي قد تحدث.[2]

[1] أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء، ج1، المرجع السابق، ص17.

[2] نفسه، ص22.

المطلب الثاني: الجزائر في المدرسة التاريخية الفرنسية

مدرسة ما قبل الاحتلال الفرنسي:

قامت الكتابات التاريخية في هذه الحقبة على مبدأ أساسي وهو اثارة الرأي العام الأوربي والمسيحي، للتحرك من أجل وضع حد لمعاناة المسيحيين في إيالة الجزائر، الذين يتعرضون حسب ادعاءات الغالبية من هؤلاء المؤرخين، الى التهديد والإكراه لاعتناق الإسلام. وقد لعبت العديد من الجمعيات اللاهوتية المدعمة من الكنيسة، وأشهرها جمعية الافتداء المسيحية، دورا كبيرا في تأجيج روح الكراهية والبغضاء والانتقام ضد كل ما يمت بصلة للجزائريين والأتراك فمثلا، نجد

"dan le pére" يركز في كتابه على "العقوبات والمصائب التي يذيقها الترك المتوحشون للنصارى الذين يستعبدونهم "و يضيف في مكان آخر من كتابه، واصفا أتراك الجزائر قائلا:" ليسوا سوى قراصنة، لا عهد لهم ولا صدق ولا يتورعون نقض المعاهدات المصادق عليها في أول فرصة سانحة، حينما يتعلق الأمر بمصالحهم، بل أنهم يفتعلون الأسباب لنكثها.[1]

ومن الافتراءات والأوصاف الدنيئة التي يصادفها المتصفح لأدبيات هذه المدرسة ما ذكره GRAMMAYE عن تصرفات بحارة الأسطول الجزائري بالقول:" إن هؤلاء نهاب البحر مثلهم كمثل الحيوانات المتوحشة، ينقضون على الغنائم، وهم يصرخون بكل شراسة ثم يستولون على السفينة وما احتوته طمعا بالثروة حتى لو كانت السفينة لإحدى الدول المرتبطة بمعاهدة صداقة معهم وهكذا تم وصف الجزائر في العهد العثماني، بأبشع الصور القاتمة والمخيفة، وقد لخصها الأستاذ مولاي بلحميسي، عندما قال: " فالجزائر في مؤلفاتهم حجر اللصوص وعش الصعاليك وجحيم النصارى، وجمهورية قطاع الطرق، وحكام البلاد غيلان افريقيا، وهم أهل

[1] الغالي غربي: المدرسة التاريخية وموقفها من الوجود العثماني، مجلة دراسات وأبحاث، العدد26، المدية، 2017، ص5.

استبداد، معدمو الأخلاق همهم الوحيد هو طلب اللذة ونهب الأموال. وأما رياس البحر وعظماء البحرية فهم المتعطشون للدماء وهم رعاع القوم وحثالة الأتراك وهم القراصنة الناهبون. [1]

فإن تفسير خلفيات هذه الهجمة المغرضة، والمغالطات من قبل هذه المدرسة على إيالة الجزائر العثمانية مردها عدة اعتبارات لفهمها، منها؛ طبيعة الظروف الدولية التي كتبت فيها، وعلى رأسها؛ اختلال موازين القوى في الناحية الغربية للبحر الأبيض المتوسط لصالح الجزائر في صراعها مع القوى الأوربية المسيحية، التي عجزت على إلحاق الهزيمة بها مما دفع بهذه الأخيرة الى السعي للفوز بود الجزائر. ويمكن أن نضيف الى هذا، تأثر هؤلاء الكتاب بطبيعة العلاقات العدائية بين العالم الإسلامي والعالم الغربي مما انعكس على مصداقية تحليلاتهم التي بقيت حبيسة الروح العدائية والتعصب الديني وكانت النتيجة لهذه الأجواء المشحونة أن تطبعت الكتابات بالأحكام والأفكار المسبقة والنوايا المغرضة، وميل أصحابها الى الشتم والازدراء والاستفزاز والاحتقار فانعدمت الموضوعية والمصداقية في تحليل الأحداث، وغابت الحقيقة، رغم أهمية بعض المعطيات التاريخية التي تخص مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت عليها إيالة الجزائر إبان العهد العثماني .[2]

مدرسة ما بعد الاحتلال الفرنسي:

لا تختلف أدبيات هذه المدرسة عن سابقتها، في أحكامها ونظرتها للوجود العثماني في الجزائر، وإن كانت المدرسة الأولى تحكم فيها عنصر التعصب الديني والنظرة الذاتية الضيقة. فإن الثانية، ارتبطت بالمستجدات الجديدة التي شهدتها الجزائر والمتمثلة في الاحتلال الفرنسي، بقيت حبيسة التوجيهات الفوقية التي كانت تتلقاها من سلطات الاحتلال، وهذا ما حذا بالبعض

[1] الغالي غربي، المرجع السابق، ص6.

[2] جمال قنان: التاريخ الاستعماري بين الأيديولوجية والموضوعية حول تاريخ الجزائر، مجلة الدراسات التاريخية، العدد5، الجزائر، 1988، ص130.

الى توصيفها بمدرسة التاريخ الاستعماري، فهي مدرسة تحمل طابعا أيديولوجيا بالدرجة الأولى قبل الصفة العلمية.[1]

رغم امتلاك مؤرخي هذه المدرسة للأدوات العلمية والمنهجية، والتي مكنتهم من الانتقال بالدراسات التاريخية نحو أفاق أوسع ورغم ذلك، فإنه يحسب لمؤرخي هذه المدرسة تلك الإنجازات والأعمال القيمة متمثلة في الكم الهائل من الدراسات والأبحاث تخص الاحتلال الفرنسي والسياسات الاستعمارية وعمليات جمع وتصنيف المصادر والوثائق التاريخية التي تتعلق بتاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ورغم هذا كله، فإن لهذه المدرسة عدة مآخذ، يمكن إجمالها ان ما أنجزه مؤرخو هذا العهد، لا يعدو أن يكون تاريخ الاستعمار الفرنسي ومآثره الحضارية في الجزائر أما ما ورد عن تاريخ الجزائر في كتاباتهم، فقد ربطوه بأهداف ومرامي هذا الاستعمار. ولهذا صيغت الكتب والمناهج الدراسية والتعليمية وفق الرؤية الاستعمارية الرامية الى طمس حقائق التاريخ الجزائري وبصفة خاصة الحقبة العثمانية منه والهدف من وراء ذلك؛ تشكيك الجزائريين في تاريخهم انطلاقا من تحريف معلومات الكتب التي تتصل بتاريخ الجزائر.[2]

وفي تطرقهم للفترة العثمانية في الجزائر، فإن منهجيتهم تفادت النظرة الشاملة لأحداث تاريخ هذه الفترة مع التركيز على الثانوية منها، مع إهمال الجوانب الحضارية التي تخص الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية وهو بذلك رفض للتعرف على الحقيقة التاريخية ومعاداة الرؤية السليمة للتاريخ وتجاهل صريح لواقع الطرف الآخر أي العثمانيين فالفترة العثمانية برمتها، لخصتها كتب هذه المدرسة في أعمال القرصنة واللصوصية واستعباد المسحيين ووضعيتهم البئيسة والشقية في مدينة الجزائر، والتجارة والرهبان ومفتدي الأسرى، والمؤامرات الدسائس التي تحيكها قوى النظام فيما بينها، ومعاناة الجزائريين من الاستبداد والجشع التركيين،

[1] جمال قنان، المرجع السابق، ص 140.

[2] محمد الميلي: موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ الجزائر، مجلة الاصالة، العدد 14-15، ص62.

وغيرها من العبارات التي تدل على موقف المبطن مقصود يدل على جهل بحقائق الأمور وهذا ما سوف نبينه في خاتمة دراستنا.[1]

تأثر هذه المدرسة بالنظريات الفلسفية الأوربية في تفسير أحداث التاريخ الإنساني معتبرة أن الحضارة الأوربية هي الحضارة المثلى الواجب الاقتداء بها وما عداها من الحضارات هي نماذج متخلفة وغير صالحة وكان الانسياق وراء هذا النوع من النظريات، وقوعها في العديد من الأخطاء والتحريفات والتفسيرات الواهية والغير مؤسسة على قواعد علمية ومنهجية، وكذلك طمس فترات وحقب تاريخية في تاريخ الجزائر للوصول الى غايتهم وهي أن الجزائر لم يكن لها كيان سياسي ولا مكانة دولية في الفترة الحديثة، وأن الظهور الحقيقي لشخصية الجزائر كان مع الاستعمار الفرنسي.[2]

من عيوب هذه المدرسة استبعادها للمصادر المحلية والعثمانية والعربية فيما كتبته عن تاريخ الجزائر بحجة أن هذه المصادر غير دقيقة وتفتح المجال للافتراض واكتفوا في سرد أحداث التاريخ الجزائري وبصفة خاصة الحقبة العثمانية على المصادر الغربية والأرشيفات الغربية، وما تركه الرحالة والسفراء والقناصل، فجاءت تفسيراتها محدودة وتعرض هذا التوجه في الكتابة التاريخية الى النقد من قبل المؤرخ Robert Mantran عندما قال: " لا يمكن كتابة تاريخ حقيقي للجزائر في القرون التي عاشتها تحت الحكم التركي إلا بالرجوع الى الوثائق الأصلية التي ظلت ناقصة "وهنا تظهر أهمية العودة الى الأرشيف العثماني لما يحتويه من معطيات وحقائق كثيرة تفند الكثير من الأحكام المسبقة التي ألصقت بالعهد العثماني في الجزائر.[3]

[1] مولاي بلحميسي: المؤرخون الفرنسيون والجزائر في العهد العثماني، مجلة الاصالة، العدد 14-15, ص71.

[2] جمال قنان، المرجع السابق، ص134.

[3] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص39.

الفصل الثالث

دراسة نماذج عن الكتابات الفرنسية

- **المبحث الأول: كتاب "تاريخ الجزائر المعاصر " لمؤلفه شارل اندري جوليان**
- **المبحث الثاني: كتاب "دور الكتابات الفرنسية في إعادة كتابة تاريخ الجزائر المعاصر " لمؤلفه ألبير دوفو**

الفصل الثالث: دراسة نماذج عن الكتابات الفرنسية

تمهيد

تتسم الكتابات الغربية للتاريخ الجزائري كغيرها من كتابات المستشرقين بالسطحية والمبالغة ومحاولة لتشويه الحقائق التاريخية، لكن قرب مؤرخيهم من الوثائق يجعلنا نبحث في كتاباتهم لعلنا نميز القيم منها، وقد اخترنا نموذجين فسنحاول.

لذا سنتناول في هذا الفصل مبحثين هما:

- المبحث الاول: كتاب "تاريخ الجزائر المعاصر" لمؤلفه شارل اندري جوليان.
- المبحث الثاني: كتاب "دور الكتابات الفرنسية في إعادة كتابة تاريخ الجزائر المعاصر" لمؤلفه ألبير دوفو.

المبحث الأول: كتاب "تاريخ الجزائر المعاصر" لمؤلفه شارل اندري جوليان

المطلب الأول: تعريف بالكاتب والأسباب التي جعلته يكتب عن تاريخ الجزائر

شارل اندري جوليان ولد بمدينة كان الفرنسية عام 1891 وتوفي عام 1991، مؤرخ وصحافي فرنسي مختص في شؤون المغرب العربي، درس في معهد الدراسات السياسية بباريس، وفي المدرسة القومية للإدارة وفي السوربون، انتقل شارل اندري جوليان وهو في الخامسة عشرة من عمره ليعيش في الجزائر[1].

صدم منذ دخوله الى عالم الشغل، بممارسات كبار الملاكين بمنطقة وهران، وسلبهم لا لأراضي الجزائريين ونتيجة صدمته بالمعاملة التي كان يلقاها الجزائريون، انخرط في العمل السياسي باكرا، حيث انتمى الى اليسار وتعرف على مثقفين وسياسيين معارضين للنظام الاستعماري ومن بينهم "فيليسيان شالاي "و"اندريه جي" وغيرهما وكاشتراكي ساند الثورة البلشفية وأصبح أحد قادة الأممية الثالثة بالجزائر. وعند حضوره لمؤتمر موسكوا 1921م التقي بقادة الثورة "كلينين و"تروتسكي "وقد كان يأمل ان يرى الثوريين ينخرطون في النضال ضد الاستعمار، وهو ما لم يتم نتيجة الصعوبات التي كانوا يلقونها في بلدانهم. قرر فيما بعد مغادرة اليسار والانضمام الى الجبهة الشعبية، وقد دعاه آنذاك رئيس الحكومة ليون بلوم الى قصر ماتينيون وكلفه بتكوين دائرة جديدة هي اللجنة المتوسطية العليا التي من شأنها ان تمكن الجبهة الشعبية من إيجاد حلول للمشاكل المتعلقة بالجزائر والمغرب وتونس. وقد وضع على ذمة رئيس الحكومة مركزا للتوثيق، وحرر مع بيار فيانو وزير الخارجية ملاحظات تحليلية تتضمن مقترحات علمية.[2]

بعد سقوط حكومة ليون بلوم، عمل لألبير سارو وبعد الحرب العالمية الثانية، في مجلس الاتحاد الفرنسي وهوما مكنه من العمل بالمكتبة البرلمانية حيث اطلع على اعمال البرلمان

[1] وجيه الكوثراني: تاريخ التأريخ، ط2 ,الدوحة: المركز الوطني للدراسات والأبحاث ودراسة في السياسات، 2013، ص160.
[2] أبو القاسم سعد الله: أبحاث واراء في تاريخ الجزائر، الجزائر: دار البصائر، ج1، 2007، ص37.

كتب شارل سنة 1931 كتابه الأول، تاريخ افريقيا الشمالية، وفيه فند الاطروحات الاستعمارية التي تقول بان تاريخ الجزائر يبدا من عام 1830، وجند مراسلين له من داخل الحركات الاستقلالية مثلما هو الشأن بالنسبة لحزب بورقيبة الذي ارتبط معه بعلاقات صداقة في ثلاثينات القرن العشرين، وتولى رئاسة تحرير المجلة التاريخية revue historiqueوباعتباره أستاذا جامعيا وعضوا في الحزب الاشتراكي الفرنسي ومستشارا في الاتحاد الفرنسي، فقد كان مهمشا وفي نفس الوقت مراقبا من قبل السلطات.[1]

ساهم في تأسيس جريدة لوموند وهوما جعله يكسب مؤسسها، وابير بوف ماري وفي 19 افريل 1950 امضى على مقالة بالجريدة دعا فيها فرنسا الى مراجعة سياستها في تونس وخاصة معاهدتي باردو والمرسى اللتين اعتبرهما قد تجاوزهما الزمن وبعد استقلال المغرب، دعاه الملك محمد الخامس لتأسيس الجامعة المغربية وقد سمي اول عميد لكلية الآداب بالرباط، كما كان في نفس الوقت أستاذا بالسوربون. وبعد مغادرة وظيفته الجامعية، واصل الاشتغال حول افريقيا الشمالية.[2]

المطلب الثاني: دراسة تحليلية للكتاب

يعتبر كتاب تاريخ الجزائر المعاصر للمؤرخ شارل اندري جوليان المعروف لدى العدد من المثقفين والمؤرخين الجزائريين والعرب، فهو في نظر الكثير من المؤرخين الذين حاولوا ان ينصفوا الجزائريين في كفاحهم ضد المستعمر الفرنسي، راجع بعض الكتاب الجزائريين الكتاب لكن هذا الامر لا يعني انه لا يحتاج الى اسقاط بعض النقاط من الكتاب والتي قد مر عليها القراء مرور الكرام فهناك افكار عبارة عن قنابل موقوتة في الكتاب لم يشر اليها الا عمدة المؤرخين الجزائريين الراحل ابو القاسم سعد الله رحمه الله في كتابه ابحاث وآراء في تاريخ الجزائر.[3]

[1] يحي الكوثراني: المرجع السابق، ص166.

[2] نفسه، ص167.

[3] أبو القاسم سعد الله: أبحاث واراء، ج1، المرجع السابق، ص59.

كل جزائري وكل مؤرخ منصف يعرف ان دخول الاسلام الى الجزائر كان عامل وحدة خالدة فقد منح الاسلام للجزائريين العقيدة التي أكدت سلوكهم واتجاهاتهم واللغة التي وحدت تفكيرهم وشعورهم كما غرس فيهم مبادئ الحرية والتضحية والايثار وبالتالي أعطى للجزائريين كل معالم الحضارة وجعلهم من المساهمين فيها مساهمة فعالة والمعروف ان المؤرخين الاستعماريين قد وصفو حامليه بالعدوان والتعصب وحاولوا خلق العنصرية الطائفية،والمؤرخ جوليان ممن جذ بهم هذا التيار. [1]

حيث يطلق جوليان على فترة الحكم العثماني بالاستعمار التركي فهو يقول (ان النظام الاستعماري الذي طبقه الأتراك بكل حزم لم يسمح للجزائريين بالتقدم نحو الوحدة) والمعروف أنه قبل غير القوميات كانت كالعائلات الكبرى ترمز للوحدة القومية والسياسية واشارته الى هذه النقطة محاولة منه الى التنبيه ان آل بيت آل عثمان كان على الاغلب في نظر المسلمين للوحدة ولهذا فإنه من الخطأ وصفه بالاستعمار التركي .[2]

كان لازما عليه بما أنه مؤرخ قبل إصداره الحكم على العهد العثماني للاستعمار قراءة التاريخ الحديث للجزائر والعودة للمصادر للأجنبية والإسلامية التي يعترف بها الفرنسيون لقراءة هذه الحقبة من تاريخ الجزائر فالجزائريون هم الذين استنجدوا بالأتراك بعد قدومهم الى الجزائر ساهموا في ارساء دعائم الدولة الجزائرية إعطائها مفهوم الدولة بمفهومها القانوني الحديث من خلال تحرير السواحل ورسم الحدود وبناء العلاقات وجعل الجزائر قوة بحرية لا تقهر وكانت تتعامل مع القوى الأوروبية الند للند [3].

[1] أبو القاسم سعد الله: أبحاث واراء، ج1، المرجع السابق، ص61.

[2] نفسه، ص69.

[3] محمد العربي زبيري: مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث، ط1، الجزائر: المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، 1985، ص69.

المبحث الثاني: كتاب "دور الكتابات الفرنسية في إعادة كتابة تاريخ الجزائر المعاصر" لمؤلفه: ألبير دوفو

المطلب الأول: تعريف بالكاتب والكتاب

ألبير دوفو مستشرق فرنسي ولد سنة 1826 وتوفي في 1876م تعلم اللغة العربية بعهد باب عزون. وكان لوالده الفونس دوفو أثر كبير في توجيه اهتماماته واختصاصه فيما بعد. وفي 13 أكتوبر سنة 1848 اعلن مرسوم الجنرال شارون القاضي بالاهتمام بمخلفات الدولة من وثائق ودفاتر ورسوم، وعهدتها الى الوكيل، ونتيجة لهذا المرسوم تم تعيين البير دوفو لهذه المهمة وشغل دوفو منصب محافظ الأرشيف العربي بمصلحة الدومين لمدة 25 سنة مما جعله يغوص في وثائق الجزائر التي فتحت شهيته للكتابة نظرا لكثرة عدد الوثائق التي خلفها الحكم العثماني فقد تمكن من جمع الالاف من الوثائق ويذكر ذلك على لسانه" من انه مرت على يديه حوالي مائة الف وثيقة "فكتب الكثير من المقالات عن تاريخ الجزائر في المجلة الافريقية التي صدرت في الجزائر منذ منتصف القرن 19 حتى سنة 1878.[1]

كما الف العديد من الكتب عن الجزائر وكان عضوا مؤسسا في هيئة المؤرخين عن الجزائر من اهم كتاباته: المباني الدينية في الجزائر القديمة، أرشيف القنصلية العامة الفرنسية، البحرية في ايالة الجزائر، وغيرها لكن الوثائق الأرشيفية لم تقع بين ايد امينة اذ ان دوفو فرط في كثير منها سواء عن طريق البيع او الاهداء، فقد قام هذا الأخير بتقديم بعض الوثائق المهمة في شكل هدايا لبعض الحكام، حيث ان بعض بايات تونس سلم لهم دوفو ملفات من وثائق أرشيف الدومين من باب المجاملة والتقدير، فقد حظي الباي محمد بملف منها باشا الذي اهدى له دوفو ملف اخر بتاريخ 2 جانفي 1861م وهذا بمناسبة زيارته للجزائر والملفان

[1] ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، الجزائر: دار البصائر، 2009. ص22.

يحتويان على 60 وثيقة على شكل فرمانات ورسائل بالعربية والتركية كان يتبادلها دايات الجزائر وسلاطين الباب العالي كما ان جون ديني ذكر انه حصل على 200 وثيقة مخطوطة تهم الجزائر من 1754 الى 1829 وتتناول تاريخ الجيش الانكشاري، تحتوي على 25 فرمانا ورسائل وكلاء الجزائر وقناصلها في مدن البحر الأبيض المتوسط: مثل رسائل محمد على حاكم مصر عن طريق الشراء من مكتبات باريس، ويذكر انها تكون من وثائق دوفو حالها حال الكثير من الوثائق الجزائرية التي ضاعت حيث ذكر بيليسي ان فرنسا اتلفت جزء كبيرا من الوثائق في الجزائر حتى ان الجنود كانوا يشعلون بها الغليون ولم يقتصر ضياع الوثائق على مدينة الجزائر فقط بل عرفت بعض المدن كتلمسان وقسنطينة نفس المصير.[1]

أما عن الجانب الشكلي للكتاب يحمل الرقم 60 حسب الفهرس الذي وضعه دوفو ينقسم الكتاب الى ست فصول وعنوانه: تشريفات _جمع ملاحظات تاريخية عن الادارة في ايالة الجزائر القديمة، الطبعة 1852،المطبعة الحكومية، الجزائر العاصمة وعدد الصفحات 153ص، ويتوزع مضمون الكتاب على ست فصول غير متناسقة من حيث الشكل، اذ يقسم دوفو الكتاب الى ست فصول، اعطى عنوانا لكل فصل الا الفصل السادس الذي جاء دون عنوان ويحتوي كل فصل على عناوين جزئية لكن توزيع هذه العناوين ليس متناسقا اذ نحد الفصل الثالث مثلا والمعنون بالمكافآت والهدايا نجد عنوانا واحدا في منتصف الفصل وهو الهدايا، كما ان عدد الصفحات التي يشغلها كل فصل فقد جاء الفصل الرابع في 53 صفحة بينما الثالث في 11 صفحة ,وفي مضمونه يعتبر كتاب التشريفات من المصادر المحلية الأساسية في فهم وكتابة تاريخ الجزائر الإداري السياسي الاقتصادي العسكري، فقد تناول أحداثا عسكرية مهمة تمثلت في الحرب مع المغرب وتونس وانجلترا وفرنسا، ومن خلال نتائج هذه الأحداث يمكن للدارس استنتاج قوة البحرية الجزائرية وقدرتها على صد الهجومات الخارجية بل وحتى الهجوم على من يهدد استقرارها والتقليل من هيبتها، إذ ذكر تفاصيل دخول زيد بن

[1] حفيظة زلاط: دور الكتابات الفرنسية في إعادة كتابة تاريخ الجزائر المجلة العربية، العدد13، المدية، 2020، ص180

مولاي اسماعيل في أول محرم من سنة 1103 على رأس جيش متكون من 1200 عربي نحو الجزائر عن طريق الصحراء وصدهم أهل تلمسان وبعد ثلاثة أيام أمر داي الجزائر حاج شعبان بتوجيه قوة لصدهم، وبعد إنهاء التجهيزات اتجهت 8 سفن إلى وهران في ربيع الأول ليتجهوا منها إلى تلمسان ثم لحقت بها المزيد من السفن تحمل جيشا من زواوة وباتنة وقاد الداي الحرب وعاد منتصرا ثم أرسلت المغرب وفدا مكونا من علماء وشخصيات مهمة لإتمام إجراءات الصلح مع إيالة الجزائر.[1]

وفي سنة 1105هجري /1694 اجتمع الديوان برئاسة أمير الحزائر لمناقشة تجاوزات باي تونس الذي طلب الضرائب من مواطنينا، واجتمعوا على ارسال حملة الى بونة ثم لحق بها جيش مكون من 80 خيمة من بايلك الغرب و16 خيمة من التيطري، كما لقوا مساندة من الشرق كقسنطينة كما وصلت اربع سفن من طرابلس لدعم الجزائر فهاجم الجيش الجزائري وحلفاءه باي تونس،وقد أشار ان الديوان قد اجتمع برئاسة الداي لمناقشة تلك التجاوزات قبل الخروج بقرار شن هجوم تونس وهذا يبين قيام الحكم على نظام الشورى .[2]

وان صعوبة تلخيص محتوى الفصول لكتاب التشريفات عامة وهذا الفصل بالخصوص تكمن في كون الاحداث والاخبار متفرقة وبعيدة عن بعضها البعض اما الفصل السادس من هذا الكتاب فقد ورد دون عنوان وهو فصل خاص بإحصائيات الاسرى والمسيحين الذي تباينت أعدادهم من سنة لأخرى بين زيادة ونقصان وقد تم تسجيلهم في جداول حسب التاريخ الذي وقعوا فيه في الأسر، وحسب بلدانهم الأصلية وهم من مختلف البلدان كفرنسا، اليونان، مالطا، امريكا وروسيا والبرتغال والنمسا وإسبانيا كالأربعة الذين أرسلهم باي وهران وغيرها، كما يوجد بين الأسرى شخصيات مهمة كقباطنة السفن والاطباء والكتاب والشعراء وغيرهم .[3]

[1] حفيظة زلاط، المرجع السابق، ص 180.

[2] نفسه، ص182.

[3] نفسه، ص183.

المطلب الثاني: دراسة تحليلية للكتاب

تكمن قيمة كتاب التشريفات في كونه كتابا إداريا أي نقل عن وثائق اصلية من الأرشيف الذي وجده دوفو في مصلحة الدومين حيث انه بعد احتلال فرنسا للجزائر نقلت كل الوثائق المهمة التي وجدت في قصر الداي وفي الإدارات وعند كبار الموظفين الى مصلحة الدومين، وبما ان دوفو كان محافظ الأرشيف العربي بالمصلحة فقد كان قريبا من الوثائق مما سهل له الاطلاع على كل ما فيها واستغلالها وقد أشار الدكتور سعيدوني في كتابه ورقات الى الوثائق الاصلية للكتاب في أرشيف المكتبة الوطنية.[1]

فكون هذا الكتاب ناقلا عن الأرشيف يجعله بالغ الأهمية في إعادة كتابة التاريخ شانه شان غيره من كتب المراسلات وفهرس فانيان قد أشار اليه حيث جاء في هذا الفهرس ما نصه تقارير ورسائل وملاحظات بالغة التركيبة حول تاريخ الجزائر منذ عهد الداي شعبان في 1103ه حتى أوائل الاحتلال الفرنسي، النسخ بدا باسم محمد الكاتب قسم كبير منها ثم ترجمته من طرف البير دوفو والمخطوط باللغة التركية وبالخط الديواني، وعلى الرغم من كل الملاحظات التي ادخلها دوفو على الكتاب في نهاية كل فصل او فكرة أحيانا الا ان الباحث فيه يمكن ان يحصل على معلومات وأرقام دقيقة كما وردت في مصدرها الأصلي أي كما دونت في تاريخ وقوعها لكون دوفو احتفظ بما يوجد داخل الوثائق ثم علق عليها مستشهدا بكتابات اجنبية، الا انه لم ينجح في إعادة ترتيب هذه الوثائق التي جميعها في الكتاب اذ لم يراع تسلسل الاحداث زمنيا، فالباحث في هذا الكتاب وغيره من الكتابات الغربية يحتاج للقدرة على تمييز الصواب من التدليس من اجل الحفاظ على تاريخنا والارتقاء بدراستنا التاريخية.[2]

[1] حفيظة زلاط، المرجع السابق، ص187.

[2] نفسه، ص 190.

الخاتمة

الخاتمـــــة

وفي الختام بعد تدوين وكتابة ونظرة الفرنسيين للتاريخ الجزائري سواءا قبل احتلالهم أي اثناء الوجود العثماني على انه استعمار هدفه القضاء على الكيان الجزائري والسيطرة التركية على الأحوال الجزائرية وتشويه سمعة الشخصيات الوطنية الجزائرية البارزة ونفي البعد الوطني والمقاومات الجزائرية خلال القرن 19 و20م وتشويه المقومات الأساسية من بينهم الشيخ المقراني والحداد وحتى الى تخوين بعض المؤرخين الجزائريين , وهنالك عدة أسباب ساعدت على تدوين تاريخ الجزائر من طرف المؤرخين الفرنسيين ومن بينها مناصبهم الحساسة لدى المكاتب العربية

وكان الهدف من تدوين تاريخ الجزائر هو التأثير على الجيل الصاعد آنذاك وتغيير نظرة تجاه المستعمر على انه المنقذ من وحشية الجهل والامية والسعي الى التطور والرقي حسب ظنهم وان الاستعمار او الوجود الفرنسي في الجزائر على انه وجود حضاري، ويسعى للقضاء على مخلفات المستعمر العثماني ومن أبرز المؤرخين شارل اندري جوليان والبير دوفو، وتطرقنا في بحثنا المتواضع الى اهم الأسباب التي أدت الى تدوين تاريخ الجزائر واهتمامات وميولات المدرسة الفرنسية التاريخية وروادها.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر

- بن عثمان خوجة حمدان: المرآة، تعريف وتحقيق، محمد العربي الزبري، الطبعة الثانية، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982
- جوليان اندري شارل: تاريخ افريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب، من الفتح الإسلامي الى سنة 1830، صلع، تونس، الدار التونسية للنشر، 1983
- سعد الله أبو قاسم: الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ط2، ج2، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 2005
- سعد الله أبو قاسم: أبحاث واراء في تاريخ الجزائر، المجلد 1، ط1، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 2005.
- سعد الله أبو قاسم: منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر، ط1، ج1، الجزائر، عالم المعرفة، 2011.
- سعدوني نصر الدين: منطلقات وافاق، مقاربة للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2000.
- سعيدوني نصر الدين: ورقات الجزائرية، دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، الجزائر، دار البصائر، 2009.
- فرحات عباس: حرب الجزائر وثورتها، ليل الاستعمار، تر أبو بكر رحال، المغرب: مطبعة فضالة، المحمدية.

ثانيا: المراجع

1- الكتب:

- بوعزيز يحي: ثورات الجزائر في القرنين 19-،20 ط2، ج1، الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1995.
- سعيدوني ناصر الدين: طبيعة الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.
- صالح فركوس: الحاج أحمد باي قسنطينة 1826، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.

- عبد الحميد زوزو: المرجعيات التاريخية للدولة الحديثة مؤسسات ومواثيق، ط 1، الجزائر: دار هومة، 2005.
- عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية الى غاية 1962، ط1، لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1997.
- فريد بن سليمان: مدخل الى دراسة التاريخ، تونس: مركز النشر الجامعي، 2000.
- محمد العربي زبيري: مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث، ط1، الجزائر: المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، 1985.
- مولاي بلحميسي: موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1988
- وجيه الكوثراني: تاريخ التأريخ، ط2 ,الدوحة: المركز الوطني للدراسات والأبحاث ودراسة في السياسات، 2013.
- يحي بوعزيز: ثورة 1871 دور عائلتي المقراني والحداد، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978.
- يحي بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

2- المجلات

- جمال قنان: التاريخ الاستعماري بين الأيديولوجية والموضوعية حول تاريخ الجزائر، مجلة الدراسات التاريخية، العدد5، الجزائر، 1988.
- حفيظة زلاط: دور الكتابات الفرنسية في إعادة كتابة تاريخ الجزائر المجلة العربية، العدد13، المدية، 2020.
- عبد القادري صحراوي: مقاومة المقراني والحداد، مجلة الحوار المتوسطي، العدد11-12، الجزائر، 2016.
- الغالي غربي: المدرسة التاريخية وموقفها من الوجود العثماني، مجلة دراسات وأبحاث، العدد26، المدية، 2017، ص5.
- محمد الميلي: موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ الجزائر، مجلة الاصالة، العدد 14-15، ص62.

- مولاي بلحميسي: المؤرخون الفرنسيون والجزائر في العهد العثماني، مجلة الاصالة، العدد 14-15, ص71.
- مولود قاسم نايت بلقاسم: لمحة عن الجزائر وديمومة شخصيتها البارزة المميزة عبر العصور والأعاصير، مجلة الثقافة، العدد 85، الجزائر: وزارة الثقافة والسياحة، 1989، ص16.

المراجع الأجنبية:

- Xavier yacono: histoire de lalgerie: de la fin de la regence, turque a linsurrection de 1954 paris editions de lattan thrope,1993.

الفهرس

مقدمة ..... أ
الفصل الأول: نظرة الكتابات الفرنسية حول تاريخ الجزائر 6
المبحث الأول: الكتابات الفرنسية حول الفترة العثمانية في الجزائر 8
المطلب الأول: نفي وجود الدولة الجزائرية الحديثة 8
المطلب الثاني: نفي التجانس البشري بين سكان الجزائر 11
المبحث الثاني: مواطن تشويه التاريخ الوطني الجزائري 13
المطلب الاول: تشويه صورة الشخصيات الوطنية الجزائرية 13
المطلب الثاني: نفي البعد الوطني عن المقاومات الوطنية 18
الفصل الثاني: اهتمام الفرنسيين بتاريخ الجزائر 20
المبحث الأول: المدرسة التاريخية الفرنسية 22
المطلب الأول: تعريف المدرسة الفرنسية 22
المطلب الثاني: نشأة وتطور المدرسة التاريخية الفرنسية 23
المبحث الثاني: أسباب بحث الفرنسيين بتاريخ الجزائر 26
المطلب الأول: أسباب اهتمام الفرنسيين بتاريخ الجزائر 26
المطلب الثاني: الجزائر في المدرسة التاريخية الفرنسية 28
الفصل الثالث: دراسة نماذج عن الكتابات الفرنسية 32
المبحث الأول: كتاب "تاريخ الجزائر المعاصر" لمؤلفه شارل اندري جوليان 34
المطلب الأول: تعريف بالكاتب والأسباب التي جعلته يكتب عن تاريخ الجزائر 34
المطلب الثاني: دراسة تحليلية للكتاب 35

المبحث الثاني: كتاب "دور الكتابات الفرنسية في إعادة كتابة تاريخ الجزائر المعاصر" لمؤلفه: ألبير دوفو 37

المطلب الأول: تعريف بالكاتب والكتاب 37

المطلب الثاني: دراسة تحليلية للكتاب..... 40

الخاتمة..... 41

المصادر والمراجع 43

الفهرس..... 47

الملخص:

من الواضح أنه لم تتأسس الأحكام التاريخية والآراء المتحيزة والجائرة التي ميزت كتابات المؤرخين الفرنسيين حول الجزائر وتاريخها، وأدرك المؤرخين الفرنسيين لأهمية التاريخ الجزائري فأعطوا له اهمية كبيرة وحاولوا تشويهه بكل الوسائل، وما له من أهمية على مستقبل الأجيال القادمة فكتبوا كتاباتهم ومحاولة الاستعمار عن طريق المدرسة التاريخية الفرنسية القضاء على الهوية الجزائرية وإدماج الجزائريين في الحضارة والثقافة الفرنسية وطمس مقومات الأمة الجزائرية.

Summary:

It is clear that the historical provisions and biased and unfair opinions that characterized the writings of French historians about Algeria and its history were not established, and French historians realized the importance of Algerian history, gave it great importance and tried to distort it by all means, and its importance to the future of future generations, writing their writings and trying to colonize through the French historical school to eliminate Algerian identity, integrate Algerians into French civilization and culture and obliterate the foundations of the Algerian nation.

Résumé:

Il est clair que les dispositions historiques et les opinions biaisées et injustes qui caractérisaient les écrits des historiens Français sur l'Algérie et son histoire n'ont pas été établies, et Français historiens ont réalisé l'importance de l'histoire algérienne, lui ont donné une grande importance et ont essayé de la déformer par tous les moyens, et son importance pour l'avenir des générations futures, en écrivant leurs écrits et en essayant de coloniser à travers l'école historique Français pour éliminer l'identité algérienne, intégrer les Algériens dans Français civilisation et de la culture et effacer les fondements de la nation algérienne.